السلطة السياسية والمعرفة

د. محمد كريم كاظم

جامعة النهرين

مقدمة

تلعب السلطة السياسية، دوراً جوهرياً في توجيه المجال المعرفي وتقدمه او تخلفه، وذلك حسب طبيعة السلطة، فالسلطة السياسية تعمل على تدعيم النمط المعرفي الذي ينسجم مع توجهاتها وأهدافها،وان السلطة السياسية تتأثر في المجال المعرفي أيضا فالعلاقة بينهما علاقة تفاعل ،علاقة تأثير وتأثر متبادل قد يطغي احد طرفي العلاقة أحيانا ،إلا إن ذلك لا يلغي جوهر العلاقة .

المعرفة هي مجمل المنتجات الفكرية والادبية والفنية والعلمية للانسان و المجتمع، وهي توجيه السلوك البشري فردياً ومؤسسياً، في مجالات النشاط الإنساني كافة، والسياسة هي علم تسيير الشؤون العامة لمجموعة بشرية، باستخدام الوسائل المادية والمعنوية، ومن بينها المعرفة.

اولا : نظرية القرآن في المعرفة:

أقام القرآن الكريم نظريته في المعرفة الإيمانية على ثلاث ركائز أساسية: الركيزة الأولى التفكير في الكون والحياة والإنسان. و الركيزة الثانية هي تدبر آيات الكتاب المعجز بكل وجوه الإعجاز ما ظهر منها وما بطن، وما تقدم منها وما تأخر. والركيزة الثالثة هي شخصية الرسول المبلغ إخلاصه وتجرده وصدقيته وأمانته.

احتلت الركيزة الأولى المساحة الأوسع والأعمق في النص القرآني، فحيثما تنقلت في آيات القرآن الكريم تسمع دعوة إلى النظر والتفكير والتدبر والتأمل، وإلى استخدام العقل والتجرد من كل المعوقات التي تعطل (السمع) و(البصر) و(الفؤاد)، وهي قنوات المعرفة الأساسية بالنسبة للإنسان.

اعتبر القرآن الكريم كما تؤكد نصوصه القطعية التفكيرَ المدخل الأساس (للحقيقة) أو (للإيمان). بينما احتل التلقين أو التعليم مرتبة تالية في خطاب القرآن الإيماني. وميز القرآن الكريم بين الحقائق الدينية والحقائق الدنيوية. وسلم للعقل البشري بارتياد الحقائق الدنيوية والخوض فيها وكشف أسرارها.

اعتبر القرآن الكريم العقل مناط التكليف ، فحيث فقد العقل ، أو غاب ، أو عجز لصغر أو مرض أو غضب أو نوم.. سقط التكليف حتى يستعيد العقل مكانته. ألح القرآن الكريم على التفكر والتدبر كمدخل أساسي للإيمان وللمعرفة. يطالب القرآن الكريم المسلمين بالتفكير في خلق السموات والأرض وفي خلق الناس والأحياء كمدخل أولي لتعزيز صدقيته والبرهان على صحته. يقول القرآن الكريم في أكثر من موطن إن شواهد صحته ويقينيته قائمة في نصوصه، وفي صدقية المبلغ له، كما هي قائمة في هذا الكون المخلوق. ومن هنا يأتي الإلحاح المتواصل على التفكير في خلق السموات والأرض وما فيهما.

القرآن الكريم يوجه الإنسانية دائماً إلى ميادين التفكير العملية التي يجب أن يستغرق الفكر الإنساني فيها **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض)** أو في الحياة في صورة بعوضة صغيرة **(إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها)** البقرة اية 25 أو في الصورة الضخمة للإبل حسب تصور المخاطبين،**(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)** الغاشية اية 16. كان إلحاح القرآن الكريم واضحاً على ضرورة أن يتوجه العقل الإنساني إلى اكتشاف أسرار الكون **(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع**

الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة اية 163 **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** العنكبوت اية 20 **(وفي أنفسكم أفلا تبصرون)**.

كان التوجيه الرباني يلح على توظيف العقل الإنساني في ميدانه الحقيقي (الكون . والحياة . والإنسان) ليثبت من خلال معرفة حقيقية في هذه الأطر صدقية الوحي في نفوس المخاطبين من جهة، وليفتح أمام الناس سبل المعرفة المثمرة من جهة أخرى. و في القرآن الكريم محفزات كونية واضحة للعقل الإنساني ليتأمل في اختلاف الليل والنهار، في السماء ذات البروج ، في السماء المنفطرة ، والكواكب المنتثرة كوعد قادم ، في الرياح المثقلة بالسحاب أو في الريح عقيماً، في الأرض وما دحاها، والجبال أرساها أخرج منها ماءها ومرعاها، في الماء أصل الحياة، وفي البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، في الفلك تجري في البحر بما ينفع الناس، في النفس الإنسانية وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، في الإنسان المخلوق في أحسن تقويم، في السمع والبصر والفؤاد، في أطوار الخلق من نطفة ثم من علقة، وفي أصله من طين لازب، وفي قوله والله أنبتكم من الأرض نباتا، في النفس، في الروح في الجسد في النشأة الأولى، في النشأة الأخرى...

إن الذي يمكن أن يلحظه المرء أن النص القرآني مهد السبيل للمعرفة الإيمانية القائمة على أساس التفكير الحر .

إن نظرية الإسلام في المعرفة المؤسسة على التفكير الذي يحرر طاقات العقل ، ويطلق أشواق الإنسان ، ينبغي أن تكون مدخلاً لبرنامج اجتماعي لبناء مجتمع حر ، قادر على الاختيار الرشيد، وعلى القيام بمقتضيات هذا الاختيار وتحمل تبعاته.

إن قولنا اختيار رشيد!! سيثير مشكلة معرفية ، ما تزال قائمة منذ كان الخير والشر ، ، فعلى أي أساس إذا أطلقنا حرية الفكر سنصف هذا الاختيار أو ذاك بأنه اختيار رشيد!!

حين نعتبر التفكير الحر المطلق في خلق السموات والأرض وفي خلق الناس فريضة إسلامية أولية ، فهل نستطيع مع إقرارنا بتفاوت مدارك البشر ، وبتسرب الضعف إلى نفوسهم ، وسيطرة الهوى على بعضهم ، أن نتحمل من منظور إسلامي نتائج المطالبة بموقف مثل هذا؟!

إلى أي مدى سنثق بعقل الإنسان ، وبحسن اختياره ، وبمدخلات تفكيره الأولية وبمخرجاته ، في عصر توارت فيه قواعد الفطرة الأولية تحت ركام الكثير من الثقافات؟!

النص القرآني من مصدره الرباني كان دائما فارضاً للتحدي على عقل الإنسان وقلبه وفكره ، وقابلاً لنتيجة هذا التحدي. قد يكون على الطريق بعض الضحايا ، وقليل من الخسارة هنا وهناك. أن المزيد من التفكير سيقود مجتمعاتنا إلى المزيد من الإيمان، وخلع (الأوثان)!! وأن المزيد من الحرية ستقودنا إلى المزيد من الإلتزام.

ثانيا :العلم والمعرفة في المفهوم الاشتراكي

ان العلم هو مجموعة المعارف المنضبطة ،المترابطة ،المنظمة ،التي حصل عليها الانسان خلال تاريخه الطويل ،انه خلاصة محاولة الانسان لمعرفة قوانين الواقع المادي المحيط به ، والواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه ،ولايقف العلم عند حدود المعرفةالمنضبطة لهذه القوانين وانما يتعداها الى السيطرة على هذه القوانيين وتوجيهها لمصلحة الانسان ، وتاريخ العلم هو تاريخ المجتمع البشري . فالتعليم هو تلقي معلومات منظمة بطريقة مخططة لصياغة الفكر وتوجيه الوجدان وتحديد المسلك الاخلاقي على نحو معين ،وان تطور العلم مرتبط بتطور المجتمع البشري

،والعلم ليس حصيلة لتامل الانسان عبر التاريخ فحسب بل هو حصيلة لممارسة العملية الاجتماعية كذالك .والعلم هو ثمرة ممارسات اجتماعية ولكنه في الوقت نفسه اداة هذه الممارسة لمزيد من المعرفة ولمزيد من السيطرة على الواقع ولمزيد من التقدم البشري .

ووفق الفكر الاشتراكي بدأ الفكر العلمي بالسحر وكان السحر البدائي هو محاولةالانسان الاولى لاكتشاف اسرار الواقع المادي والانساني على السواء ،فكانت الظواهر تفسر بقوى غامضة كالقدر او باسباب هي انعكاس لمشاعر الانسان واسقاط لذاتيته على الطبيعة ،ثم خطى العلم خطوة موضوعية بانتقاله الى مرحلة اكتشاف القوانيين الكافية في قلب الاشياء خلال التجربة العلمية ،واصبح العلم منهجا محددا لاكتشاف الحقيقة يقوم اساسا على التجربة وتعميم نتائج التجربة في قوانيين نظرية ،ثم العودة الى التجربة لاختبار صحة القوانيين ،واصبح العلم يهتم بالسؤال عن "كيف" يحدث الشيء ،بعد ان كان السؤال الذي يطغي في المرحلة السابقة على النظرة العلمية هو طلماذا يحدث الشيء" وكانت الاجابة دائما غائية ،تجعل لحدوث كل شيء غاية مسبقة ،محددة منذ البداية .

والعلم يهتم بالسؤال عن كيف يحدث الشيء لكي يتعرف على العمليات الداخلية التي يحدث كل شيء بمقتضاها وبهذه المعرفة يستطيع العلم ان يسيطر عليها وان يوضحهها، على ان العلم يسأل ايضا لماذا يحدث هذه الشيء او ذاك ، على ان يكون سؤاله بحثا ايضا على الضرورات والعلل التي حتمت حدوث هذا الشيء .

يرى الاشتراكيون ان الضرورة ليست ضرورة عمياء بالقدر الذي تكون فيه الضرورة غامضة ،ومتى انكشفت اسرار الضرورة او جزء من اسرارها فالانسان يتحرر بهذا القدر . وعلى ذلك يرى الاشتراكيون ان التاريخ باجمعه ليس الا تحولات في الطبيعة الانسانية .عندما يؤثر الانسان على الطبيعة الخارجه عنه ، فهو يحول

طبيعته نفسها ،وسيطر الانسان على الطبيعة لاتكون الا بالعلم ،فالعلم يحاول الغاء الضرورة لانه يكشف قوانينها ،ويتيح للانسان السيطرة عليها ،وتاريخ الانسانية ليس سوى تاريخ هذا الجهد المليء بالعناء والنضال من اجل السيطرة على الطبيعة .

واذا كان الانسان قد استطاع الى حد كبير ان يكشف مغاليق الطبيعة فانه ايضا يواجه تحديا عظيما في هذا العصر هو السيطرة على المجتمع نفسه .وذلك ايضا باكتشاف قوانيين المجتمع .وعلى الرغم من ان العلوم الانسانية علوم تختلف عن العلوم الاجتماعية الموضوعية ،فان الانسان يقترب من اكتشاف هذه القوانين الانسانية ،وذلك بمغامرته العديدة في تفسير النفس الانسانية والانسان في المجتمع والانسان والاقتصاد وغير ذلك .

ثالثا : القوة والمعرفة

اكد الفن توفلر بان القوة في القرن الحادي والعشرين سوف تكمن ليس في المعايير الاقتصادية او العسكرية التقليدية ولكن في العنصر المعرفي (المعرفة Kowledge) ففي رأيه "بعد ان كانت المعرفة مجرد إضافة الى سلطة المال والعضلات باتت اليوم جوهرها الحقيقي. إنها في الواقع المكبر النهائي لهما " فالقوة العسكرية ترتبط مباشرة بالقدرة التكنولوجية، أي بالمعرفة التي تكتنزها. وعلى عكس المعايير الاقتصادية والعسكرية فان المعرفة لا حدود لها ولا تنضب، وبطريقة (ساذجة) بعض الشيء يقول توفلر بان المعرفة هي الأكثر ديمقراطية بين مصادر القوة لأنها تبقى في متناول الجميع أغنياء كانوا أم فقراء [1].

وتؤكد الدراسات ان المجتمعات التي تمتلك المعرفة هي المرشحة للسيطرة على العالم في القرن الحادي والعشرين، ويميز البنك الدولي في دراسة صدرت له عام

[1] د. غسان العربي، ساسة القوة، مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى، الطبعة الأولى، بيروت، 2000، لبنان، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ص35.

1995 بين ثلاثة أنماط من (الرساميل) أي العناصر المنتجة، وبالتالي القوة: هناك أولا رأس المال الطبيعي (ماء، خشب، ارض، مواد اولية) وهناك ثانيا رأس المال المادي (طرق، سكك حديد، مصانع، ماكينات)،وهناك ثالثا ورأس المال البشري (مستوى التغذية، التعليم والتربية، الابتكار والتجديد، القدرة الإنتاجية...)[2] ويمثل رأس المال البشري ما متوسطه 64% من مصادر الثروة في العالم.

لا نبالغ إذا قلنا إن " المعلوماتية " ليست مجرد تطور أحدثته تكنولوجيا الاتصال، ولكنها ثورة بكل معاني هذه الكلمة، إذ ستكون لها آثار كبيرة للغاية على كافة جوانب المجتمعات والدول اقتصادية وثقافية بالغة العمق وقد استكشف مختلف أبعاد هذه الثورة عالم الاجتماع الفرنسي جان لوجكين في كتابه (الثورة المعلوماتية) الصادر في باريس عام 1992 [3].

وقد خص الاقتصادي المصري سمير امين المعلوماتية بفصل خاص في كتابه (مناخ العصر " رؤية نقدية " الصادر عام 2000، وهو يقدم تحت عنوان: نقد أيديولوجيا المعلوماتية والاتصال: ولعل بعض المعلومات التي أوردها سمير أمين تشير إلى خطورة ثورة المعلوماتية ونتائجها الاقتصادية المذهلة.

يقول سمير أمين ... يمثل قطاع المعلوماتية ما لا يقل عن نسبة 8 الى 10% من إجمالي الدخل العالمي، وهي نسبة تعلو على ما هي عليه في قطاع السيارات او كذلك يعلو معدل نمو أنشطة المعلوماتية جميع الأنشطة الاقتصادية أو يكاد، إذ إن ثلاثة أخماس العاملين باجر على مستوى العالم يستخدمون الآن تكنولوجيا تشتبك

[2] نفس المصدر، ص38.

[3] جان لوجكين، الثورة المعلوماتية (بالفرنسية)، باريس، المطابع الجامعية الفرنسية، 1992.

بالمعلوماتية يشكل او بآخر وبالتالي فان ضخامة الأرباح التي يمكن استخراجها من السيطرة على المعلوماتية تفوق التصور. [1]

من التغيرات التي يشهدها النظام الدولي ازدياد الاعتماد على العقل البشري والثروة المعرفية، عماده وقوته الأساسية في العقل البشري وليس في القوة العضلية، وبذلك فانه يعتمد على طاقة متجددة لا تنضب، وبالتالي لا تحتاج الى جيوش تقليدية جرارة ولا للاحتلال العسكري لتأمين المواد الخام والأسواق، ومن ثم لن يكون هذا النظام حكرا او احتكارا للمجتمعات كبيرة المساحة أو ضخمة السكان او الغنية بمواردها الأولية أو القوية بجيوشها التقليدية، انه نظام يمكن لجميع شعوب العالم ان تشارك فيه، سواء أكانت كبيرة أم صغيرة إذا ما أحسنت إعداد نفسها وأبنائها لذلك.

نلاحظ اليوم القوة الاقتصادية الكبرى التي تمتلك التكنلوجية المتقدمة والمتطورة بسرعة استطاعت ان تغزو بالجيوش بلدان تحت اي ذريعة ومنها العراق، ولكن في نفس الوقت لم تستطيع السيطرة على الارض بكل التكنلوجية والامكانات الاقتصادية بالرغم من ان ما يحدث في العراق حاليا يتحمل كل التوقعات والاستنتاجات التي يذهب اليها البعض على ان القوة والسيطرة الامريكية تستطيع فعل اي شيء ؟؟..

ان قدرة استخدام التكنولوجة المتقدمة من قبل المقاومة الموجه ضد الاحتلال حصرا وكيفية تحركها باستخدام القوة الجديدة واستغلال كل انواع المعرفة امام قوة ومعرفة كبيرة بالرغم من تفاوت الامكانات بين من هو في السلطة ومن هو خارجها؟ لان من يملك السلطة بيده وهذه الاخيرة تتيح له استخدام وتسخير كل الامكانات المادية والمعنوية والقانونية ولا قانونية للحفاظ على السلطة ،وبالمقابل ان استخدام كل ما وفرته الثورة المعلوماتية الجديدة في اسلوب مقاومة المحتل او معارضة السلطة يجعل المعادلة

[1] السيد يسن، ثورة المعلوماتية، التقرير الاستراتيجي العربي 1999، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2000، ص20.

بين من يملك السلطة ومن يملك قدرة استخدام التقنيات الحديثة ايهما اسرع وايهما اكثر دقة في الاستخدام وفي اتخاذ القرار ؟وهنا تتدخل كثير من العوامل التي تؤثر وتتاثر احداهما بالاخرى ؟.

هذا النظام المعرفي ألغى الفواصل الجغرافية حيث حقق الفرص للجميع للخروج الى العالمية فوق كل الحدود وفوق كل الفواصل، ويخلق ما يسمى فضاء لا متناهيا Cyber Space يتسابق فيه الجميع، وهذا يعني ان منتجا صغيرا في قرية نائية في المغرب يستطيع ان يعرض منتجاته أمام مشتري في كوريا أو الهند أو في أي مكان في العالم.

إن اللامحدودية التي حققها النظام الدولي للمعلومات والتي تعني أداء الأعمال عن بعد مع منافسة عالمية، تحقق هذه الأخيرة أو ان تكون هذه الأعمال أعلى مستوى من الجودة. أي إن تعامل الناس فيما بينهم دون ان يلتقوا وجها لوجه، ففي مجتمع عصر الصناعة كان يتطلب انتقال طالب الخدمة الى مؤدي الخدمة او العكس، بينما يمكن الان الحصول على الكثير من الخدمات دون انتقال فعلي لطالبها او مزودها .

كذلك فان النظام الدولي للمعلومات يتسم بالعمل في الزمن الحقيقي ،وعمليات الزمن الحقيقي هي عمليات تتم بشكل مباشر دون أي فاصل او تأجيل زمني ،انتشر هذا المفهوم بعد التطور التكنولوجي الكبير في الاتصالات والمعلومات ،حيث أصبح بالإمكان الإشراف على مجموعات كبيرة ومتنوعة من العمليات في أماكن مختلفة وظروف عمل مختلفة ولعل من أفضل الأمثلة على ذلك وسائل التحكم والسيطرة والمتابعة وأنظمة البورصات والأسواق العالمية والجامعات الالكترونية وكثير غيرها لتلبية احتياجات المستهلكين في جميع أنحاء العالم بالرغم من الفواصل الزمنية.

إذن لماذا تغلق البنوك أبوابها ؟ علما بان احتياج الناس للنقود لا يتوقف ولا يرتبط بساعات العمل التي تحددها البنوك، لماذا تغلق مكتبات العالم ومراكز البيانات

والمعلومات ؟ وما ينطبق على البنوك والمكتبات يسري على جميع أنواع الخدمات الأخرى، بل وجميع السلع الأخرى [1]

من جانب آخر فان التحدي الحقيقي الذي يشهده العالم اليوم هو في الفاصل الزمني بين الفكرة وتنفيذها وما نتج عنه من مفهوم يسمى شباك الفرصة (Window Opportunity) الذي يمر أمام الإنسان، فأما ان يستغله وأما أن يمر وينتقل إلى شخص آخر.

لقد تضاءلت قيمة المكونات المادية في المنتجات الجديدة بصورة كبيرة، فبعد ان كانت هذه المكونات تصل إلى 30% من قيمة المنتج، فإنها قد وصلت الى حوالي 10% وينتظر ان تصل الى اقل من 2% بحلول عام 2010 [2]، وهذا الشيء راجع الى عدة أسباب منها المواد الجديدة والمخلقة، وتزايد قيمة المكون المعرفي في المنتج، تزايد قيمة الجودة (للمنتج)، وارتفاع تكلفة البحث العلمي والتطوير اللازمة لإنتاج المنتجات الجديدة (الصناعات الدوائية والكيمياوية).

النظام الدولي الجديد يستند على هذه الرؤيا المعلوماتية والتطور التكنولوجي، والتي أثرت كثيرا على النظم السياسية العالمية، فعبر التاريخ الإنساني كان تطور النظم السياسية يتواءم مع طبيعة العصر الذي قامت فيه. ففي خلال عصر الزراعة نشأت النظم الملكية الدكتاتورية ذات الطبيعة القمعية، وعندما تطور المجتمع الى عصر الصناعة، بدا ظهور النظم السياسية الجمهورية الديمقراطية واتسع نطاقها مع تزايد التحول في دول العالم نحو الاقتصاد الحر، وقد عكس النظام الديمقراطي بصورة او بأخرى النظام الصناعي، والذي تطورت فيه السلطة من الملكية الى الإدارة من خلال ممثلين للملاك وليس من خلال الملاك الحقيقيين، وظهر في النظام السياسي طبقة

(1) د. رأفت رضوان، النظام الدولي للمعلومات. مصدر سبق ذكره، ص11.

[2] نفس المصدر، ص11.

النواب لتدبير الحياة السياسية على نمط قيام مجلس الإدارة بإدارة الشركات نيابة عن ملاك هذه الشركات.

ان النظام الدولي الجديد للمعلومات، والذي يتسم بالمشاركة الكاملة لكل أفراد المجتمع أثر على النظم السياسية وخاصة في العالم الثالث (ومن ضمنها العربية) من حيث تزايد الضغط والرغبة للتحول الى النظم الديمقراطية والمشاركة السياسية و الذي أصبح شرطاً أساسياً لتكريس الثورة العلمية والتكنولوجية كون هذه الأخيرة تعتمد على عقول البشر، ولن تعمل هذه العقول بقوتها الكاملة الا في ظل هامش واسع من الحرية، فبينما كان يمكن تجنيد البشر أو أيديهم وعضلاتهم فيما تحتاج اليه الثورة الصناعية حتى مع غياب الحرية، فانه يكاد ان يكون من المستحيل استنفار عقولهم وملكاتهم الخلاقة والمبدعة بدون الحرية الشخصية والحريات العامة.

ان المشكلات المتجددة وخاصة الناتجة عن الثورة العلمية والتكنولوجية هي من التعقيد والتشعب بحيث تتجاوز قدرة أية أجهزة حكومية مركزية لأية دولة.

وبدا النظام الدولي الجديد يؤثر تأثيرا كبيرا ومباشرا على النظام الاقتصادي العالمي، حيث افرز مظاهر جديدة لنظام جديد، ومن هذه المظاهر التوجه نحو الاقتصاد الحر، حيث شهد المجال الاقتصادي عدة تغيرات تمثلت في وجود تحول على المستوى العالمي نحو اقتصاد السوق. كذلك تزايد التكتلات الاقتصادية ، بحيث بدأت تجتاح العالم في السنوات الأخيرة موجة التكتلات الاقتصادية الطوعية على غرار السوق الأوربية المشتركة التي بدأت تسرع الخطى حيث أصبحت أوربا الغربية (سوقا واحدا) أو سوقا موحدا، وظهرت تكتلات طوعية اخرى على الخريطة العالمية منها تكتل امم جنوب شرق آسيا الذي يضم سنغافورة، وماليزيا وتايلاند واندنوسيا والفلبين، بالإضافة الى اليابان وكوريا وتايوان، للوصول الى توازن مع تكتل أوربا الغربية ومنظمة التجارة الحرة بين الولايات المتحدة وكندا والمكسيك.

ان ظهور اقتصاد المعلومات أدى إلى ان تكون المعلومة سلعة لها قيمة يمكن استخدامها وتبادلها وبيعها ففي حين تنتقل السلع المادية بين البائع والمشتري او المعطي والمستلم ،تبقى السلعة المعرفية عند الطرفين ،كما ان السلعة المعرفية سلعة متكاثرة ومتزايدة مع الاستخدام بفعل الإبداع والتطوير بينما السلع المادية سلع ناضبة يستهلكها الاستخدام المباشر ويتلفها ، وحيث إننا نواجه كل يوم في مجالات الالكترونيات الدقيقة بجديد اصبح التراكم المعرفي يتزايد بدالة هندسية ويتضاعف بسرعة.

ان خريطة النظام الجديد ودور التكتلات تتحدد فيه من خلال قياسات امتلاك الدول والتكتلات لأدوات هذا النظام والتي يمكن ذكر منها الحاسبات، وبرامج الاتصالات والإنترنت، البحث العلمي والتطوير، ونلاحظ في مجال الحاسبات تحتل الولايات المتحدة الأمريكية الاولوية في اعداد الحاسبات حيث تصل إلى 45% افي العالم، كما ان سوق الحاسبات الصغيرة بها يعادل 36% من حجم السوق العالمي [1]

كذلك في مجال البرمجيات والتطبيقات ونفس الشيء بالنسبة إلى الإنترنت من حيث نسبة الاستخدام او نسبة الحاسبات وأعدادها المتصلة بالشبكة الدولية.

وهذا الشيء أيضا يذكر في مجال البحث العلمي والتطور من حيث قيمة الإنفاق على البحوث العلمية، وبعدها اليابان وألمانيا وفرنسا وإنكلترا وهذا يعزى الى قطاع الأعمال والشركات .

رابعا: صيغ التعامل الجديد مع المعرفة.

[1] د. رأفت رضوان، النظام الدولي للمعلومات، مصدر سبق ذكره، ص21.

الأنظمة المعرفية والمعلوماتية الجديدة فرضت على السلطة صيغا جديدة للتعامل، لذلك يجب على السلطة السياسية ان تحارب الأنماط المعرفية التي تعارض توجهاتها او تنتقص من شرعيتها وان تتعامل مع هذه المعلومات بما يخدم مسألتي الولاء والشرعية ، وذلك ما يفسر الصراع المعرفي في البلدان العربية بوصفه احد صيغ الصراع حول السلطة السياسية، حيث لا يمكن للسلطة السياسية القائمة أن تتعايش مع معرفة مناهضة لتطلعاتها، وتسعى بكل الوسائل الممكنة لترسيخ النمط المعرفي الذي يتطابق مع طموحاتها،ان أي سلطة تخلق لذاتها أنماط معرفية تضمن لها تبرير المشروعية واستدامة الولاء . ويمكن القول إن الصراع السياسي في البلدان العربية هو في إحدى أوجهه صراع من طبيعة معرفية مع النظام المعرفي للسلطة السياسية الحاكمة. والذي يشكل الخلفية الفكرية التي تحدد علاقاتها مع الأنظمة المعرفية المخالفة أو المعارضة.

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الاطلاع على التقارير للأحزاب أو الجمعيات او التكتلات السياسية التي نراها في البلدان العربية، إذ يتبنى بعضها النمط المعرفي الرسمي، ويعد مسانداً للسلطة السياسية القائمة، سواء انخرط فيها أم لم ينخرط، بينما يتبنى البعض الآخر منها أنماطا معرفية مناهضة لهذه السلطة، ويتخذ موقع المعارضة لها، ومن ثم لمنظومتها المعرفية والقيمية.

ويمكن من ملاحظة الساحة الفكرية العربية أن المثقفين العرب الذين تمكنوا من الوصول الى دائرة صنع القرار، تمكنوا من توجيه المفاهيم التي تخدم توجهات السلطة السياسية، وهذا جاء بسبب مهاراتهم في التغلغل والانخراط في السلطة السياسية، ورغم ذلك يهمش هؤلاء عندما تحتاج السلطة السياسية الى مشورة بشأن الخيارات السياسية

التي تقوم على الدراية والعلم، حيث يفضل الحاكم في هذه الحالات ولأسباب تاريخية واقتصادية وسياسية أهل العلم من خارج البلاد على المفكرين المحليين [1].

في مقابل هذه الفئة من المثقفين وعلماء السلطة السياسية، نلاحظ وجود مجموعة من الأكاديميين رفعت شعار الاغتراب المعرفي عن وطنها الأم إذا اضطرت إلى الهجرة، حيث تعرضت البلدان العربية لتيارين ضخمين من الهجرة الدولية لهما تبعات مهمة على اكتساب المعرفة، توجه التيار الأول إلى البلدان العربية النفطية، وكان في جوهره هجرة مؤقتة للعمل، وحالت سياسات وإجراءات بلدان المقصد، إضافة إلى مشكلات هجرة الأوطان، ناهيك عن التقلبات السياسية الحادة والنزاعات المسلحة، دون أن يترتب عليها تبادل بشري محسوس بين الأقطار العربية.

أما التيار الثاني فقد توجه إلى البلدان الغربية المتقدمة، وزادت فيه نسبة الاستيطان في بلدان الاستقبال، مقارنة مع من هاجر إلى الدول العربية. وان لم يكن الاستقرار أحيانا في الحسبان عند بدء الهجرة.

ورغم إن الهجرة لمجتمعات أخرى تنطوي بالضرورة على اكتساب معارف وخبرات جديدة، وعلى تبلور نموذج معرفي أرقى لدى المهاجرين.

كما إن الهجرة بين البلدان العربية. قد ساهمت في توثيق العلاقات العربية، وان كان فيها صعوبات في أحيان كثيرة.

إن هجرة الكفاءات عالية التأهيل للغرب المصنع تعد من أخطر الظواهر المؤثرة على اكتساب المعرفة في البلدان العربية. وليس في وصفها بالنزيف مغالاة.

---

[1] تقرير التنمية الانسانية، 2003، ص14.

ويترتب على فقد البلدان العربية لكفاءاتها المهاجرة استمرار ضعف إنتاج المعرفة. ومن ثم قصور الطلب على إنتاجها، حيث أن نشاط الكفاءات عالية التأهيل ينطوي في حد ذاته على إفراز طلب مهم على المعرفة.

ففي عام 1979 كان عدد المهاجرين من البلدان العربية نحو 23% من المهندسين و 50% من الأطباء و 15% من جميع حملة الشهادة الجامعية الأولى فمن أصل 300000 من خريجي المرحلة الجامعية الأولى في العام الدراسي 1996/1995 يقدران نحو 25% هاجروا إلى أمريكا الشمالية ودول السوق الأوربية وبين عام 1998 و 2000 غادر اكثر من 15000 طبيب عربي إلى الخارج [1]

أن العولمة تعتمد بدرجة كبيرة على التكنولوجيا. لم يكن من الممكن للعولمة الأكثر ترابطاً، كالتي نشهدها اليوم، أن تتطور دون التقدم الباهر الذي تحقق على امتداد عدة عقود ماضية في تحسين كفائة أنظمة النقل (التصنيع وتسليم الإنتاج في الوقت المُعيّن)، والتي استندت إلى ثورة الاتصالات التي أتاحت التراسل الفوري مع الأفراد والمنظمات حول العالم.

يقول بعض الناس أن العولمة فكرة أميركية وأن باقي دول العالم تتبنى بذلك مفهوماً أميركياً ،أن الولايات المتحدة، نظراً لموقعها خلال القرن العشرين، كانت دائماً تقف عند الحد القاطع المتقدم للتكنولوجيا .وكان هذا صحيحاً حتى خلال فترة الركود الاقتصادي الكبير.

أن الفوائد الرئيسية للعولمة هي القدرة على استهلاك سلع أفضل ومنتجات أفضل بأسعار أقل، وبالتالي تأمين حياة من نوعية أفضل. تبدأ الفوائد في الاقتصاد ولكنها لا تنتهي عندها لان للناس غايات أخرى في حياتهم بالإضافة إلى مجرد الأهداف

[1] تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003، ص143

الاقتصادية. واني أعتقد أن العولمة وسيلة تمكنهم من بلوغ الغايات البعيدة الأخرى الشخصية، والقومية، والاجتماعية.

وهناك مبرر جيد ومتين للقول إنه كلما ازدادت كمية المعلومات التي يمتلكها الناس كلما تعززت حريتهم في التعلّم كيف يعيش الآخرون. أنشأ ذلك حوافز قوية لهم أيضاً للجهاد والكفاح من أجل الحرية. إذاً هناك صلة بين التكنولوجيات الجديدة في أنظمة الاتصالات والنقل وبين الثورات السياسية التي حدثت في التسعينات من القرن العشرين، والتي فتحت الحدود وأنشأت موجة مُحفزة لنشر الديمقراطية. سوف يكون من الصعب جداً تحديد ماهية السببية ولكن ذلك لا يهم، فما نعرفه هو أن هذين الأمرين تلاقيا في نقطة واحدة.

أن الدولة القومية عنصر تنظيمي مركزي وجوهري للنظام الدولي. هناك نقاشات كثيرة حول ما إذا كانت الدولة القومية تتلاشى، وأظن بصراح أن الدول القومية سوف تبقى معنا لمدة طويلة .فالذي يحصل هو أن الدولة القومية تتغير بسبب العولمة، وتتحول بفعل السياسات الليبرالية المتأصلة في التكنولوجيات الجديدة. كما أن التقييدات المفروضة على الدول القومية أصبحت أشد صرامة وأضيق مما كانت عليه في الماضي. إذا تحدثت مع أي رئيس دولة اليوم، حتى الذين يمارسون حكماً دكتاتورياً، سوف يخبرونك بأن عددهم محدود جداً أو محدود أكثر مما كان في الماضي.

يجب على الحكام الدكتاتوريين ان يتعاملوا مع أسواق السندات والأنظمة المالية الدولية حيث أنها تُقيّد خياراتهم الاقتصادية. عليهم كافة أشكال التقييدات كما لديهم الكثير من الإمكانيات التجارية، ولكن تواجههم أيضاً المعايير الدولية. لا يمكنهم ممارسة التعذيب بنفس الحرية وبشكل علني كما كانوا يفعلون في السابق. لا زال يحصل هذا الأمر ويستمر في الحصول ولكن أصبح لدينا الآن تغيير مثير للاهتمام نتيجة العولمة

والتغييرات التي حصلت في التسعينات من القرن الماضي يتمثل في عدم استطاعة الحكام النوم بسهولة خلال الليل كما في السابق. لم يعد الحكام ينتقلون دوماً بسهولة من القصر الجمهوري إلى منازل ومقرات عملهم .

الخاتمة

لقد اصبح من الضروري تركيز الجهود في المرحلة الراهنة على تأسيس ثقافة قانونية وسياسية قادرة على توجيه الممارسات السياسية وترشيدها وعلى المثقف العربي الانخراط في إنتاج شروط المجتمع الديمقراطي عبر تأكيد أهمية البعدين القانوني والسياسي في تأسيس السلطة وان ذلك يتأتى من خلال حسن تدبير العلاقات بين المجالين المعرفي والسياسي وتأمين شروط المواطنة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومع هذه يستقل المجال المعرفي بذاته، ويتدعم بالضرورة المجال السياسي.

أن أغلبية البشر لا يحصلون على معلومات من مصادر مستقلة، هذا إذا حصل على أي منها. ثلث سكان العالم اليوم لا يملكون هاتفاً ولم يجروا أبداً اتصالاً هاتفياً، ومعظم البشر لا يعيشون في دول ديمقراطية. أغلبية الأطفال في العالم لا يرتادون المدارس وأغلبية الناس في العالم لا يعملون في وظائف يتقاضون أجوراً نظامية عنها.ان تدعيم المجال العلمي والمعرفي تحديد اصبح ضرورة مع التطور السريع والمتسارع ز

المصادر :

القران الكريم

1. د. غسان العربي، ساسة القوة، مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى، الطبعة الأولى، بيروت، 2000، لبنان، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق.
2. جان لوجكين، الثورة المعلوماتية (بالفرنسية)، باريس، المطابع الجامعية الفرنسية، 1992.
3. السيد يسن، ثورة المعلوماتية، التقرير الاستراتيجي العربي 1999، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، .2000
4. تقرير التنمية الانسانية، .2003
5 . د. رأفت رضوان: النظام الدولي للمعلومات موقع الوطن العربي على خريطة العالم الجديد، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، قضايا إستراتيجية، السنة الثانية، العدد 12، 1997،